الا عند ضريح عبد العاطي » . هذا اللقاء يؤدي الى فعل آخر . فمن دخان الصلوات ، يتولد الجدل الاجتماعي . فالصلوات هنا هي بديل للفعل، لكنها ارادة تمثل هذا الفعل . من هنا ، عند اللقاء يبدأ التحرك . فيصعد الاعمى على كتفي الاطرش ليلمس وجه عبدالعاطي وليجده فطرا . « انه فطر ، مجرد فطر ، ثم ادركت انه لا يسمع ، فصحت بصوت عال انه فطر ، فطر » . اما جواب الاطرش فكان أكثر حدة : « يسمونه ايضا فقعا وسكت . سأظل كل عمري اضحك على نفسي كلما أتذكر اني جئت اطلب من حبة فقع اذنين اسمع بهما » .

« اثنان من طيرة حيفا ، يلتقيان حول حبة فقع ! أليس ذلك معجزة يا عبد العاطي ؟ » . اثنان من طيرة حيفا ، جمعتهما الفجيعة والتقيا . حول اوهامهما ، كلا ليس حول اوهامهما ، بل حول افيون الجمود الذي أورث الهزائم والبكاء ، هذا الافيون الذي هو جزء من بنية القمع . « قلت لنفسي ها قد صار عند الولي جهاز شرطة » . هذا اللقاء يولد ارادة للفعل . يجب قتل الولي ، يجب ان نبول عليه ، يجب اعادة قتله . لكن ارادة الفعل تأخذ طريقا آخر . فأبو قيس يحلم نفسه يخطب وسط جموع اللاجئين ، ويحلم بهم يصيرون جموعا ثائرة تعيد الطنين الى أذنيه . ارادة الفعل تتحرك من الواقع نفسه . من اكتشاف منطق علاقاته الداخلية .

هذا التداخل بين الاطارين الواقعي والرمزي ، يجد لنفسه خطا ، يتلون باللونين ، انه اللحن المرسل ، الذي يوقعه كنفاني في المقطعين ٥ و١٢ من روايته . هذان المقطعان يأخذان تشكيلة صلاة وثنية ، لكنها في الواقع صلاة من نمط آخر . صلاة من نمط السهم الذي تتكشف عنه هذه العلاقة بين الاطارين . الواقع يستحيل رموزا تتداخل في بنيته. ومن خلال علاقة الولي ، بالاعمى والاطرش ، تتكشف علاقة الاطرش بمصطفى وعلاقة الاعمى بحمدان . مصطفى هو الشخصية الواقعية مئة في المئة في هذه الرواية لكن واقعيتها هي الواقع الذي يراد تجاوزه ، والتخلي عنه . وعندما تتوقف الرواية عند ارادة هذا التجاوز الذي لم يتحقق ، فان كنفاني يترك الواقع نفسه يتحرك فينا . لقد رسم هو سهم هذا التحرك . « وانا الاعمى الذي أعرف ان المعجزة انما تجترح من القاع ، فالمعجزة هي ثمرة الجذور الضاربة في رحم الارض » . اللغة في رواية « الاعمى والاطرش » هي شعر بالغ النقاء . اللغة تنسج نفسها حول رؤيا المستقبل ، لذلك فايقاعها الموسيقي هو مؤشر على الخروج . انها لغة الجذور ، الذي يصغي الحوار فيحيله من مجرد حديث له طابع التأشير في الرواية الى عالم مستقل . عالم يتوالد فيه النقيض ، ويخرج من رحمه علامة جديدة . الحوار ، يتجاوز الواقع الذي يشد مصطفى وحمدان الرواية اليه ، بل يتجاوز الاطار الاول بأسره ، ليصبح نسيجا لواقع أكثر تعقيدا . المطروح هنا ليست فلسطينية كنفاني. انه لا يقودنا الى فلسطين ، بل يقود فلسطين الى مستقبلها ، ينطلق منها ، من اطاراتها الواقعية ليصلنا بالازمة الكبرى التي تعيشها حركة الثورة العربية . فحركة البحث عن آفاقنا ، علاقتنا بالتراث ، مستقبلنا عبر لغة تتجدد وقدرة مذهلة على الانتقال بالصورة الشعرية الى ذروة التوتر هو ما يميز رواية الاعمى والاطرش .

كنفاني في روايته ، يتحرك في اتجاه واحد . انه اتجاه معرفة الواقع ، اضاءته وتجاوزته في آن معا . انها اول رواية غير فلسطينية — بالمعنى المباشر لهذه الكلمات — يكتبها كنفاني . انها رواية عظيمة . لا تنقل الينا ارادة التحول ، بل تطمح اكثر من ذلك ، تطمح ان تنقل الينا عملية التحول في اطاراتها المباشرة المغروسة وسط الرموز المنتقاة بعناية ، والتي تسمح لهذه العملية بأن تأخذ كامل مداها وتصل الى ذروتها .

ج — **برقوق نيسان** : برقوق نيسان هي الاستعادة. القطيعة التي اعلنتها « عائد الى حيفا » عبر تعرية سعيد س. وادانته ، وسحقه واحتقار دموعه . تستعاد هنا بشكل آخر . ابو القاسم الذي ينكر جثة ابنه الشهيد هو الوجه الاخر لسعيد س. هو وجه الهرب الذي استعاد وعيه في حيفا عبر الضربة الساحقة — هزيمة حزيران — ليستعيد هنا وعيه ثانية عبر وردة البرقوق الحمراء . عبر سعاد وحركيتها النضالية ، التي هي واقع التحرك في اتجاه المقاومة . فاذا بهذا التحرك يحيل ابا القاسم من سعيد س. آخر الى مناضل من نمط جديد .

الرواية تتحرك عبر خطين متوازيين :

١ — خط الواقع : الذي تمثله الهوامش .